التعريب سبيل لتجديد اللغة والفكر
مفهومه وحدوده وأبعاده الحضارية

محمود بدوي محمود السيد
وزارة التربية والتعليم، مصر.

DOI: https://doi.org/10.56807/buj.v5i2.371

الملخص

كان نتيجة اتصال العرب بغيرهم أن دخلت إلى اللغة العربية حصيلة ضخمة من مختلف اللغات، حورها العرب وصاغوها وفق معاييرهم اللغوية، مما دعوه بالتعريب، ولم ينل التعريب قدرا من الجدية والتأسيس إلا في العصر الحديث عندما تطور العالم من حولنا، وبدأ محمد علي باشا في مصر بإرساء قواعد دولته وأرسل البعثات إلى أوروبا لتعلم العلوم المختلفة، وحينما عاد طلاب البعثة وجههم إلى التعريب خدمة للدولة الناشئة، ثم اتسعت هذه التجربة ونضجت مع بدايات القرن العشرين بإنشاء مجامع اللغة العربية. ومن هذا المنطلق فإن هذا البحث يناقش قضية التعريب بوصفه السبيل إلى حماية العربية والحفاظ عليها، ولكن بشروطه وضوابطه، كما حددها المتخصصون وطبقتها المجامع اللغوية العربية.

وتناول هذا البحث التعريب كسبيل لتجديد الفكر واللغة معا وقد تناولت فيه عدة محاور قيمة في هذا الشأن منها: تعريف التعريب، واتجاهات التعريب في الدولة الإسلامية، والعربية والثقافات الأخرى، والعربية والثراء اللفظي، وتعريب العلوم في الوطن العربي، ومقترحات بشأن النهوض بالتعليم وتطويره للحياة العربية. والاستعمار الأوربي وآثاره في التعليم، وجهود الشعوب العربية لمواجهة المشكلة، وقضية تعريب العلوم والطب، كيفية الإفادة من المصطلحات المعربة، وأخيرا تجئ الحلول المقترحة.

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد النبي الأمي الأمين، صلاة وسلام إلى يوم الدين كما أسأله سبحانه المغفرة واللطف، وأستعينه على صلاح الحال، وحسن المآل، إنه سميع مجيب الدعاء.

وبعد،،،

فإن الإنسان خليفة الله في الأرض، خلقه الله بيديه وأسجد له ملائكته، وعلم آدم الأسماء كلها وجعل بني آدم مختلفي الألسن ومختلفي الألوان وهذا من آيات الله تعالى، كما جعلهم شعوبًا وقبائل للتعارف في كل مجالات العلم والعمل والتعاون، بل وفي كل مجالات الحياة النافعة السعيدة.

إن اللغة من أفضل السبل لتجديد الفكر فإذا كانت اللغة من أفضل السبل لمعرفة الشخصية وخصائصها، فإنها كذلك الوسيلة الأفضل والأجود لتجديد الفكر الذي يتعلق بالشخصية، فاللغة هي الأداة المثلى التي سجلت من بدء الخليقة ومنذ أبعد العهود الأفكار الإنسانية، بل هي التي تفرض علينا قوالب فكرية ومفاهيم علمية وآراء وأحاسيس وعواطف، فاللغة هي البيئة الفكرية الواقعية التي نحيا فيها كما نعيش في الأرض، بيد أن البيئة العلمية أشد بأسًا وأشد أثرًا من البيئة الأرضية، لأن آثارها في العقول والنفوس.

يقول الإمام أحمد الطيب شيخ الأزهر[i]: "إن الحضارة الإسلامية، التي هي أحدث الحضارات الشرقية، وأعمقها أثرًا في نفوسنا، تشبه المثلث المتساوي الأضلاع، وهذه الأضلاع هي: الوحي الإلهي، والعقل المنضبط بالوحي، والأخلاق..." (الطيب، 1437، 9) إلى أن يقول في معرض حديثه إلى الجامعيين أساتذة وطلابا: "ثم يأتي العقل بكل معانيه ولوازمه مرتبطا بالعلم والمعرفة، ليمثل في هذا الحضارة الأساس الذي اتكأت عليه نصوص الوحي الإلهي قرآنًا وسنة، وعول عليه القرآن الكريم تعويلاً كاملاً في خطاب الناس وتكاليفهم بشريعته وأحكامه، ومن المعلوم الذي لا نزاع فيه أن منزلة العقل الكبرى في القرآن الكريم من الوضوح والرسوخ بحيث لا تقبل الجبال. (الطيب، 1437، 9)

اللغة دائماً هي الوسيلة التي من خلالها يمكن التواصل والتفاهم بين أفراد أي مجتمع، بل إن اللغة هي الهوية التي يجب ألا نفرط فيها بأي حال من الأحوال؛ لأن اللغة هي أساس التطوير في حياة العرب جميعاً وفي تقدمهم، ويمكن للغة العربية أن تجدد الفكر الإسلامي، والخطاب وأن تطور من وعيهم وتعمل على تقدمهم وازدهارهم.

التعريب السبيل الحضاري لتطوير اللغة:

إذا كانت اللغة هي الوسيلة الرئيسية التي يُعبَر بها عن أفكار الإنسان ومشاعره ونقلها إلى الآخرين، وبذلك يتم التواصل بين الناس، وتأخذ الحياة الإنسانية طابعها الاجتماعي، واللغة مظهر من المظاهر التي تميز حياة الجنس البشري، وتعمل على تطورها بالصورة التي تليق به. (مهران، ١٩٧٨) ولذلك فإن اللغة العربية – وهي لسان خير أمة أخرجت للناس- لغة تحمل رسالة تجديد الفكر والخطاب، بل وهي أساس التطوير في حياة العرب وحياة البشرية جمعاء وازدهارها وتقدمها، على هذا النحو، هي أساس التطوير في حياة الإنسان وتقدمه.. فكيف يمكن للغة العربية أن تطور من وعي الناطقين بها وتعمل على تقدمهم وازدهارهم، وتجعلهم في مصاف الأمم المتقدمة؟ تبدأ عملية التطوير من اللغة العربية ذاتها، فيجمع كثير من العلماء والباحثين على ضرورة النهوض باللغة العربية كأحد الشروط الأساسية للنهوض بالأمة العربية، وتأتي هذه العملية، عبر عدة مسالك، أولها؛ الاتجاه إلى التعريب، كضرورة حضارية وتعليمية تربوية لا غنى عنها لاستنهاض الأمة.

تعريف التعريب:

التعريب لغة:

للتعريب تعريفات كثيرة عند القدامى والمحدثين نشير إلى قسم منها[ii]:

قال الجوهري: "تعريف الاسم الأعجمي: أن تتفوه به العرب على منهاجها، تقول: عربته العرب وأعربته أيضًا". (الجوهري، 1987، عرب)

وقال أبو حيان الأندلسي في شرح التسهيل: "العجمي عندنا هو لكل ما نقل إلى اللسان العربي من لسان غيره". (السيوطي، 1998، 268/1)

وقال السيوطي: "المعرب: هو ما استعمله العرب من الألفاظ الموضوعية لمعان في غير لغتها". (السيوطي، 1989، 146)

وقال الخفاجي: "التعريب نقل اللفظ من الأعجمية إلى العربية، والمشهور فيه التعريب، وسماه سيبويه وغيره إعرابًا". (الغزالي، 1971، 23)

وقال التهانوي: "المعرب عند أهل العربية لفظ وضعه غير العرب لمعنى استعمله العرب بناء على ذلك الموضع". (التهانوي، 1996، 944)

ومن المحدثين، قال عبد القادر المغربي: "جعل الكلمة الأعجمية عربية". (المغربي، 1908، 5) وقال أيضًا: "المعرب، ويسمى أيضًا دخيلاً، هو ما استعملته العرب في الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها". (المغربي، 1908، 16)

وقال محمد المبارك: "هو إدخال اللفظ الأعجمي في العربية بعد تبديله وتهذيبه في لفظه ووزنه بما يناسب العربية". (المبارك، (1981)، 42)

وقال عبد الحميد حسن: (المعرب هو الكلمات التي نقلت من الأجنبية إلى العربية سواء واقع فيها تغيير أو لم يقع). (حسن، د. ت، 65)

وقال عباس حسن: "اللفظ الأعجمي الذي أدخلته العرب في لغتها، وصفاته على مناهجها وأوزانها أو تركته بغير صقل، وربما تناولته بالاشتقاق". (حسن، 1966، 220)

وكانت نتيجة اتصال العرب بغيرهم أن دخلت إلى اللغة العربية حصيلة ضخمة من مختلف اللغات، حورها العرب وصاغوها وفق معاييرهم اللغوية، مما دعوه بالتعريب، ولم ينل التعريب قدرا من الجدية والتأسيس إلا في العصر الحديث عندما تطور العالم من حولنا، وبدأ محمد علي باشا في مصر بإرساء قواعد دولته وأرسل البعثات إلى أوروبا لتعلم العلوم المختلفة، وحينما عاد طلاب البعثة وجههم إلى التعريب خدمة للدولة الناشئة، ثم اتسعت هذه التجربة ونضجت مع بدايات القرن العشرين بإنشاء مجامع اللغة العربية. (طارق، 2000)

اتجاهات التعريب في الدولة الإسلامية

وبالنظر إلى حركة التعريب في بدايات عصر الدولة الإسلامية فقد شهدت القرون الهجرية الأولى زخما ثقافيا هائلا، في فترة من أزهى عصور الفكر العربي الإسلامي من خلال التعريب، أو ما يعرف بحركة النقل والترجمة، والتي بدأت في أواخر القرن الأول الهجري على يد الأمير خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (توفى عام 85ه) حين أمر بنقل الكتب العلمية من اليونانية إلى العربية، ثم ازدهرت الحركة أيام العباسيين، ففي عهد الخليفة المنصور تم نقل كثير من الكتب في الطب والفلك والمنطق والفلسفة. وقد أصبحت بغداد في أواخر القرن الثاني الهجري مركزا هاما من مراكز الثقافة الإسلامية، وقد ساعد على ذلك اهتمام الخلفاء وكبار رجال الدولة الإسلامية بنقل الكتب من الفارسية واليونانية إلى العربية، فقد رأى الخلفاء العباسيون بعد أن اختلط العرب بالفرس والروم أن الحاجة تدعو إلى معرفة علوم الفرس واليونان، فوجه . أبو جعفر المنصور اهتمامه إلى ترجمة الكتب التي تناولت هذه العلوم. ومن أشهر المترجمين في عهده «ابن المقفع» الذي نشأ بالبصرة، وقضى نحو عشر سنوات من حياته في العصر العباسي، وقضى بقية حياته في العصر الأموي.

وكان لوقوع بعض مدن الدولة الرومانية الشرقية في حوزة الرشيد أثر كبير في نشاط حركة الترجمة في عهده، فأمر بترجمة ما وصل إليه من كتب اليونان. كذلك تجلى في عهد المأمون ازدهار حركة النقل والترجمة من اللغات الأجنبية وخاصة من اليونانية والفارسية إلى العربية، فأرسل البعوث إلى القسطنطينية لإحضار المصنفات الفريدة في الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب. وقد روى ابن النديم في «الفهرست» أن المأمون كان بينه وبين إمبراطور الروم مراسلات، فكتب إليه يسأله الإذن في إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة ببلاد الروم، فأجابه إلى ذلك بعد امتناع، فعهد المأمون إلى الحجاج بن يوسف بن مطر وابن البطريق وغيرهما بإحضار بعض الكتب من القسطنطينية، وبعد أن عادوا إليه مزودين بالكتب التي وقع اختيارهم عليها أمرهم بنقلها إلى اللغة العربية". (سرور، 1965) فلم يقدم العرب على ترجمة الكتب الفلسفية إلا في أيام المأمون؛ ويرجع السبب أولا إلى ولعه بعلوم الأقدمين، وثانيا إلى الحاجة إلى آلة فكرية تمكن العلماء المسلمين من دحض آراء الزنادقة. وقد أمر المأمون بنقل كتب الفلسفة والمنطق من اليونانية إلى العربية ثم جعل الترجمة عامة لكل مؤلفات أرسطو وشراحه في الفلسفة وغيرها. فأثارت تعطشا إلى العلوم الوضعية وعناية بالاستيضاح ورغبة في التنسيق بين العلوم الإنسانية كلها. وفي بغداد أنشأ المأمون دار الحكمة أو بيت الحكمة، وكانت دار الكتب قديما تسمى خزانة الحكمة وهي خزانة كتب فقط، أما المؤسسة الجديدة «بيت الحكمة» فتسمى دار العلم وخزانة الكتب جزء منها . ولا شك أن المأمون كان في ذلك مقلدا الأكاديمية جنديسابور القديمة. وكانت تحوي هذه الدار شراحا، ونقلة أي مترجمين إما من الفارسية إلى العربية وإما من اليونانية إلى العربية. وقد أرسل المأمون وفدا من علماء حاشيته إلى القسطنطينية للحصول على مخطوطات منها، ويتم توزيعها على الأقسام بحسب اللغة: فارسية، سريانية، يونانية، ويقع كل قسم تحت رئاسة مسؤول". (قنواتي، 2014)

نستطيع الجزم بأن الدولة الإسلامية استطاعت أن تحقق إنجازات ضخمة؛ فقد أسفرت حركة التعريب الواسعة التي شهدتها مراكز الثقافة العربية وقتئذ عن نقل الكثير من الكتب عن الفارسية، والهندية، إلى جانب التراث اليوناني، خاصة التراث الفلسفي والعلمي، مما يعتبر نواة النهضة الفكرية التي حدثت إبان ذلك. وقد أورد ابن النديم الوراق البغدادي في «الفهرست» أسماء عشرات المترجمين من المسلمين والمسيحيين الذين

عاشوا في عصر الدولة الإسلامية، وقاموا بنقل أمهات الكتب اليونانية إلى العربية، إما مباشرة أو بواسطة اللغة السريانية، أمثال: يحيى بن عدي، وابن سوار، وعيسى بن علي وسليمان السجستاني. وكان "فهرست" ابن النديم مصدرا لمن جاء بعده مثل صاعد الأندلسي (المتوفى سنة ٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م) في كتابه «طبقات الأمم»، والقفطي (المتوفى سنة 646هـ/١٢٤٨م) في كتابه «أخبار العلماء بأخبار الحكماء» وابن أبي أصيبعة (المتوفى سنة 668هـ ١٢٦٩م) في كتابه «عيون الأنباء في طبقات الأطباء». (قنواتي، 2014)

العربية والثراء اللفظي:

يحسب للعرب أنهم لم يعربوا تقريبا لفظا أجنبيا واحدا، فقد استعملوا كلمات وعبارات عربية خالصة لا تشوبها شائبة أعجمية، فترى علم المنطق لديهم يفتح بابه لدخول ألفاظ مثل: موضوع، ومحمول، وحد، وقضية، وقياس وما يجري هذا المجرى، على حين اتكأ الغرب عند نقل المعارف على أصولها اليونانية واللاتينية، يأخذون منها حاجتهم عندما يقتضي الأمر وهو ما يشير إلى تفوق العربية على غيرها من اللغات في الثروة اللفظية، ولقد أدرك ذلك باحث لغوي أمريكي فقال: «فضل العربية أن باب الاشتقاق والقياس فيها واسع أكثر من أي لغة حية أخرى، ومن ثم فعامل الإثراء متوفر للغاية» ولا حاجة إلى القول بأن الاشتقاق ضروري بالفعل، فلا استقلال للغة عن غيرها إلا به، واللغة الحية هي التي يزيد الداخل إليها عن الخارج منها، وهنا تقع مهمة مجمع اللغة العربية ومن ينحو نحوه.

لقد كان اللفظ ولا يزال هو محور الحديث عن الترجمة والأصل فيها، يتفرع منه ويرتد إليه كل حديث آخر. ومع ذلك فإن دخول ألفاظ أجنبية إلى حظيرة اللغة العربية أمر ضروري، شريطة ألا يجافي اللفظ الدخيل الذوق العربي، وليس في شيء من هذا ما ينتقص من مكانة اللغة وعبقريتها، فما نقص قدر الإنجليزية بما أخذت من العربية أو غيرها من اللغات. والحقيقة أن العلماء العرب كالرازي وأبن سينا والبيطار، نقلوا عن اليونان والفرس وأبقوا على لفظها الأصلي مع وجود مرادفات لبعضها في العربية. وعرف عن العرب أنهم يتحرون الأمانة فيما ينقلون من علوم اليونان من طب ومنطق ورياضة، وكانت الأمانة طابعا يسم مترجماتهم إلى درجة لفتت النظر إليها، فقد أدت الظاهرة، ظاهرة الأمانة، أن أصبحت منقولات العرب هذه مصدر ثقة في بابها على نحو أقر به أهل الغرب قبل أهل الشرق". (عصام الدين، 1986)

استمر العرب في التعريب في مختلف العلوم حتى جاء الفارابي بعلمه الحقيقي باللغة اليونانية فأعاد النظر في كثير من الكتب، ووقف على الخلل الطارئ في متون الكتب المنقولة والمترجمة، فاعتزم جمع تلك التراجم وتصحيحها ومطابقتها على أصولها وتلخيصها جميعا، فاستوعب أقسام العلم الثلاثة آنذاك، وهي العلم الإلهي والعلم الطبيعي والعلم الرياضي، ووضعها في كتاب سماه «التعليم الثاني» فقد كانت كتب أرسطو تشكل ما سمي ب «التعليم الأول». ولا غرابة في ذلك، فلقد كان أرسطو هو «المعلم الأول»، وأطلق على الفارابي «المعلم الثاني». (عصام الدين، 1986) لأنه ثاني معلم للمنطق بعد أرسطو، وكان من أسبق المفكرين المسلمين إلى محاولة التوفيق بين الفلسفة اليونانية وتعاليم الإسلام، وقد ألم الفارابي فضلا عن ذلك بالطب والرياضة والفلك، وله عدة رسائل في علم النفس والمنطق والأخلاق. (سرور، 1965)

العربية والثقافات الأخرى:

أقدم العرب على النقل والترجمة في فترة كانوا يشعرون فيها بقوتهم وعزتهم الحضارية والدينية والعسكرية، ولم يجدوا في الترجمة ما ينتقص من قدر فكرهم وثقافتهم العربية الإسلامية، بل كانوا على العكس من ذلك تماما يأخذون من الثقافات الأخرى ما يزيد ثقافتهم عمقا واتساعا وقوة، خاصة وأنهم كانوا ينظرون إلى تراث الأمم الأخرى نظرة نقد تقوم على الدراسة والفهم والتحليل والمناقشة. وكانوا: إذا فتحوا بلدا ووجدوا فيه كتبا لا يأمرون بإحراقها أو إعدامها، بل يأمرون بنقلها للاحتفاظ بها ونقلها إلى العربية. وقد أمر هارون الرشيد طبيبه يوحنا بن ماسويه بترجمة كتاب «طبقات الأطباء» وهي ليست من كتب الفلسفة وإنما هي في الطب اليوناني". (قنواتي، 2014)

وحتى عهد قريب جدا كان ينظر إلى الترجمة في العالم العربي نظرة إجلال واحترام وإكبار، ولم يكن بعض كبار المفكرين والأدباء والكتاب والعلماء العرب يرون بأسا في أن يترجموا بعض الأعمال الخالدة إلى العربية. فقد نقل أحمد لطفي السيد مثلا بعض أعمال أرسطو، ونقل طه حسين بعض مسرحيات سوفوكليس. واشتغل بالترجمة أيضًا أدباء وكتاب من أمثال يحيى حقي وجبرا إبراهيم جبرا وغيرهم. ولقد قل الاهتمام بالترجمة في العالم العربي على عكس اليابان مثلا، حيث يُعطى للترجمة ما تستحق من عناية واهتمام، فتنقل بسرعة أهم ما تخرجه المطابع في كثير من البلاد الأخرى إلى اللغة اليابانية حتى يساير الناس إنجازات الفكر الحديث في العالم ويخضعوه للدراسة والتحليل

ويعملوا على استيعاب ما يروق لهم منه وتمثله لكي يضيف بذلك إلى ثقافتهم أبعادا جديدة لم تكن تتاح لهم لو أنهم عزلوا أنفسهم عن تيارات الفكر العالمي. (الخولي، 1983) ويبقى السؤال: كيف يعود العرب إلى سابق عهدهم بالترجمة، وكيف تكون هناك خطة جادة وفاعلة لترجمة كل جديد من ثقافات العالم؟ خاصة أن الاطلاع على المنجزات الحديثة يشكل أحد الروافد الرئيسة التي تعول عليها الأمم في سبيل تقدمها.

كما نود أن نشير إلى نوع آخر من التعريب، هو غير التعريب الذي سلف ذكره ويقصد به الكتابة والتأليف والتدريس باللغة العربية ويشتمل على:

1) صوغ الألفاظ الأجنبية صياغة لا تخرج على ذوق العربية، ويشمل ذلك الأعلام والمصطلحات التي يستعصي علينا وضع لفظ عربي لها.

2) وضع كلمات عربية للألفاظ الأجنبية أو المصطلحات العلمية.

3) تدريس العلوم باللغة العربية في جامعاتنا، ووضع الكتب فيها، أو نقلها من اللغات الأجنبية.

ولابد أن نشير إلى أن الرأي القائل بالبقاء التعليم العالي باللغة الأجنبية، لئلا تنعزل عن الحركة العلمية العالية، مردود لعدة أسباب، منها:

1) أنه لا يجوز فصل التعليم العالي عن التعليم الابتدائي والثانوي.

2) إن كانت العربية لغة الدولة، بصحفها وكتبها مجلاتها ومكاتباتها الرسمية... فلا يجوز أن يشذ التعليم العالي عن كل هذا.

3) إن أوروبا لم تجعل اللغة العربية، لغة التعليم العالي في العصر الوسيط، يوم كانت تتلمذ على يد العرب.

4) إن تدريس العلوم بلغة غير العربية، هو نوع من استمرار الاستعمار الثقافي.

ولاشك في أن جعل التعليم باللغة العربية، يحل كثيرًا من المشاكل: فهو يحل أولاً مشكلة غموض المصطلحات العلمية، وهو ثانيًا يضيق الهوة بين الفصحى والعامية.

وهو ثالثا ينشر التعليم بين الناس، لأن الاعتماد على اللغات الأجنبية، في تعليم المواد العلمية، يزيد إلى صعوبة تعلم هذه المواد، صعوبة تعلم لغاتها، وهذا السبب أدى إلى إخفاق كثير من الطلبة في الامتحانات لعدم اتقانهم للغة المواد العلمية، فهم يتقنون المادة العلمية، لكنهم لا يستطيعون التعبير عما يعرفونه باللغة الأجنبية.

إن الأمة التي تهمل لغتها أمة تحتقر نفسها، وتفرض على نفسها التبعية الثقافية، وحاشا أن نقبل ذلك، لأننا نؤمن أن تعلم اللغة وتعليمها ليست مهنة، أو قضية تعليمية، وإنما هو قضية وطنية ورسالة قومية.

ونحن حين ندعو إلى ذلك لا ننكر أهمية اللغات الأجنبية، بل ننادي بإصرار على وجوب تعليمها وإتقانها، ولكننا ننكر ألا تكون العربية لغة التعليم في جامعاتنا، كما ننكر إهمال تعليمها، وعدم إدخالها مقررًا دراسيًا في جميع الأقسام.

إن التعليم بغير العربية يلقى في نفوس الطلاب أن لغتهم القومية قاصرة غير ذات نفع لهم، وأنها لا تصلح أداة للعلم، ولا وسيلة للبحث العلمي.

يقول الدكتور حاتم صالح الضامن ردا على ذلك التوهم: "الحقيقة أن اللغة العربية ليست عاجزة في رصيدها اللغوي، وليست ضعيفة تهب عليها الأحداث، فتقضي على كيانها، وتحطم بنيانها؛ لأن اللغة العربية تصدت لكل الأحداث، وواجهت كل المعارك في طريقها الطويل، وخرجت بحمد الله منتصرة". (الضامن، 2007، 109)

وسوف يتناول الباحث موضوعًا غاية في الأهمية مركزًا عليه ألا وهو:

تعريب العلوم في الوطن العربي:

يستخدم تعبير "تعريب التعليم" هنا للدلالة على معنيين متصلين:

المعنى الأول هو جعل لغة التعليم اللغة العربية بدلاً من الأجنبية واحتواء مادة التعليم على المعارف الوطنية والثقافية القومية، وإحلال العناصر العربية محل العناصر الأجنبية في إدارة التعليم والإشراف عليه والتدريس فيه، كل هذا يقصد جعل المدارس والمعاهد التي تنتظم أبناء العرب أوعية ثقافية عربية أصيلة يتخلق داخلها المواطن العربي السليم.

وتعريب التعليم بهذا المعنى يصح أن نطلق عليه شعار "التعليم للعرب بالعرب من أجل استمرار ثقافة العرب".

وقضية التعريب على هذا الإساس لا تمثل مشكلة في الوطن العربي في الوقت الحاضر إلا في المغرب العربي وخاصة في الجزائر. ذلك أن الاستعمار الفرنسي دأب طول مدة إقامته على (فرنسة) تلك الأقطار، ولم يتركها إلا منذ نيف وعام أو سنوات معدودات لتواجه هذه المشكلة.

أما المعنى الثاني لتعريب التعليم فهو إعادة النظر في التعليم بالأقطار العربية، وذلك من حيث المبادئ والنظريات التي يقوم عليها والأهداف والسياسات التي توجهه، والنظم والأشكال التي تجسدها، والمحتوى والأساليب والعلاقات التي يتضمنها، وذلك

بقصد تكييفه "وأقلمته" على نحو يجعله أشد اتصالا بالأرض العربية والثقافة العربية المتطورة، وأقدر على سد احتياجات الأمة العربية، والاسهام في حل مشكلاتها والنهوض بها، وتحقيق آمالها العظيمة في الوحدة والحرية والكفاية والعدل.

وتعريب التعليم بهذا المعنى الأخير يمكن أن يصدق عليه شعار "تعليم وتعلم المسلمين والعرب من أجل تجديد الفكر العربي ونهضة خير أمة أخرجت للناس"

وقضية تعريب التعليم وفق هذا الشعار وهذا المعني تمثل مشكلة أكثر البلاد العربية، إن لم يكن كلها تقريبا. ذلك أن الأمة العربية وقد حملت أكثر شعوبها على استقلالها وسعت الى النهوض والتقدم - تعيش الآن مرحلة تحول خطير يمس صميم كيانها الفكري والعقائدي والواقعي ويحدوها الآمال فيها في أن تسترد مكانها الريادي بين الأمم. وهي إذ تسعي لتجديد نفسها على هذا النحو تعلق أهمية كبرى على التعليم باعتباره أداة تكوين الأجيال المستقبلة وتحقيق آمال الأمة. ولكن هذا التعليم بحكم أصوله التاريخية وطبيعته الموروثة يحمل في واقعه كثيرا من رواسب الماضي، بجموده وطبقيته وقطاعه واستغلاله واستبداده واستعماره.

ومن هنا كانت الحاجة ملحة إلى إعادة دراسته وإعادة تنظيمه وتوجيهه ثوريا ليصبح أقدر على تمكين كل عربي من القدرة على العادة تشكيل الحياة وتحقيق آمال الأمة العربية. وهذا يعطي معنى جديدا للتعريب.

وواضح من هذين المعنيين لتعريب التعليم أن كليهما يكمل أحدهما الآخر. فالأول ينصب على شكل التعليم وأدواته وضمانات كونه عربيا والثاني ينصب على جوهر التعليم وكيفية جعله قوة فعالة في تطوير الحياة العربية وخلق ثقافة عربية جديدة.

وكلا المعنيين يتضمن عملية هدم وعملية بناء في آن واحد. فتعريب التعليم بالمعني الأول يتضمن محو اللسان الافرنجي كلغة للتعليم وتطهير المادة التعليمية من الأفكار الأجنبية المغرضة والتخلص من السيطرة البشرية الأجنبية على التعليم: وهو في نفس الوقت يتضمن إحلال اللغة العربية وتنميتها في المدرس، وجعلها مستودع المعارف الوطنية السليمة التي نلقنها لأبنائنا. واعداد العدد اللازم من المدرسين والمشرفين والإداريين العرب وتعريب التعليم بالمعنى الثاني يستلزم قلع ما علق بتعليمنا من أدران الماضي ومما فرض عليه من ألوان المحاكاة والتقليد والتبعية للغير، وهذا مقابل تحديد فلسفة تربوية عربية ينبني عليها نظام تعليمي عربي تتحقق به آمال الأمة العربية.

وتعريب التعليم بهذين المعنيين وثيق الصلة بالمسألة العربية الكبرى التي تتضمن تحرير الفكر العربي. ورد لسان العرب للعرب والسعي الدائب لتحقيق وحدة العرب. ثم هو وثيق الصلة بالمشكلة الثقافية العربية الكبرى وهي المحافظة على ثقافة العرب، ونقلها من طور الجمود النسبي الذي لازمها منذ أواخر العصور الوسطى والنقل الحرفي الذي تسلط على بعض أبنائها منذ القرن التاسع عشر إلى طور الحركة والانطلاق الذي يؤدي بالأمة العربية إلى إعادة مكانها في الريادة الخلاقة وفل أمم العصر الحديث. (علي، 1987، 133 وما بعدها)

وعلى هذا الضوء نتناول موضوع تعريب التعليم في الوطن العربي وفق الترتيب التالي:

أولا: التعليم للعرب بالعرب من أجل استمرار ثقافة العرب:

- أصول المشكلة مظاهرها في الوطن العربي.
- جهود الشعوب العربية لمواجهة هذه المشكلة.
- قضية التعريب في مصر.
- مقترحات بشأن تعريب التعليم في مصر.

ثانيا: تعليم العرب من أجل تجديد ثقافة خير أمة أخرجت للناس.

- البعد التقدمي للموضوع.
- الأوضاع التعليمية الراهنة في الوطن العربي.

مقترحات بشأن النهوض بالتعليم وتطويره للحياة العربية

أولا: التعليم للعرب بالعرب من أجل استمرار ثقافة العرب أصول المشكلة الثقافة الخاصة بالتعريب ومظاهرها في الوطن العربي:

قضية التعريب في الوطن العربي وليدة حركة استعمارية أثمة شملت معظم أجزاء الوطن العربي، الاستعمار الأوروبي الذي كشف عن أطماعه بطريقة سافرة في أرض العرب منذ أواخر القرن الثامن عشر، واستغل ضعف الدولة التركية العثمانية فنشب أظافرة في تلك الأرض بعد ذلك، إلى أن تمكن من السيطرة على معظم أجزائها، حتى صارت خريطة الوطن العربي باستثناء جزء كبير من شبه جزيرة العرب، بعد الحرب العالمية الاولى نهبا مقسمًا بين استعمار فرنسي، واستعمار إنجليزي، واستعمار إيطالي، واستعمار أسباني سافر.

والاستعمار جاء بالقهر والقدوة ليحرم الشعوب العربية حريتها واستقلالها، ويستنزف مواردها ويشل فعاليتها، ويجمد ثقافتها، بل يجعل هذه الثقافة متخلفة مشوهة.

وليس المجال هنا أن نتحدث عن الاستعمار، إنما يلزمنا هنا أن نعالج موضعه من حيث كونه السياق الذي نشأت فيه وترتبت عليه مشكلة- بل مشكلات- تعريب التعليم في الوطن العربي.

والمعروف أن الاحتلال توسل بالتعليم في البلاد العربية لفرض نفسه وتحقيق أغراضه الخبيثة، ولم يسلم التعليم في بلد عربي وقع تحت وطأة الاحتلال من الآثار المدمرة له فيه، كما سنرى.

آثار الحكم التركي في التعليم:

السيطرة على تلك الشعوب، وعندما أراد الأتراك التشبه بالغرب والاقتباس منه بعد نهضته، وشرعوا ينشئون المدارس الحديثة في القرن التاسع عشر، وخصصوا للبلاد العربية التي خضعت لحكمهم خضوعًا مباشرا وهي العراق والشام وطرابلس (ليبيا) - نصيبا من هذه المدارس، لم يسمحوا الا بالتركية لغة للتعليم فيها. وكان ذلك جزءا من سياسة الترك التي صممت تركيا على تطبيقها في الحكم والإدارة بالولايات العربية .

وجدير بالذكر أن الدولة العثمانية في تنظيمها لهذه المدارس الحديثة كانت متأثرة بالنظم الفرنسية بوجه خاص، وقد حرصت على نشر اللغة الفرنسية بجانب اللغة التركية - فجعلتها لغة إجبارية في المدارس، وقد بقيت اللغة الأجنبية الشائعة في معظم معاهد التعليم وفي أكثر محافل العلم والأدب حتى انفصلت تلك البلاد العربية عن الدولة العثمانية.

الاستعمار الأوربي وآثاره في التعليم

أما الاستعمار الأوربي الحديث في الوطن العربي، فيمكن تتبع جرثومته الأولي في العصور الحديثة في الامتيازات التي منحها السلاطين العثمانيون منذ القرن السادس عشر لرعايا بعض الدول الأوروبية، بشأن الإقامة والتجارة والرجوع في أمورهم الشخصية والتجارية الى قناصلهم في الأراضي التابعة له - تلك الامتيازات التي سرعان ما تحولت في أيدي الأجانب إلى أسلحة خطيرة استطاعوا بمقتضاها أن يفرضوا أنفسهم على البلاد، ويوغلوا بنشاطهم فيها، وجعلوا أنفسهم دولة داخل الدولة.

وفي ظل هذه الامتيازات، أمكن لكثير من البعثات التبشيرية والإرساليات العلمانية الأجنبية أن تهبط أرض العرب، وتمكن لنفسها فيها، وتطلق نشاطها دون ضابط أو توجيه الا توجيه الدولة أو السلطة الخارجية التي تتبعها. وبدا ذلك واضحا في مجال التعليم الذي كان أخطر ما قامت به هذه الإرساليات وتلك البعثات من نشاط.

لقد بدأت البعثات التبشيرية نشاطها في البلاد العربية - خصوصا في مصر والشام - منذ القرن السادس عشر. لكن جهودها في مجال التعليم جاء متأخرا عن هذا التاريخ. وقد اتسع نطاق هذه الجهود كما ازداد عدد البعثات ومصادرها في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

وبلغت حرية هذه البعثات في نشاطها التعليمي حد إرسال بعض أبناء العرب إلى روما وباريس لتربيتهم على نحو يخدم أغراض التبشير من زوايا غربية غير عربية. كذلك بلغت هذه الحرية حد إنشاء المدارس على أي مستوى - حتى مستوى إعداد المعلم - وفي أي رقعة من أرض الوطن العربي. ولم تقدر الدولة في مصر أو في الشام والعراق وغيرها أن تحد من هذا النشاط، بل لم تكن تملك حق الهيمنة عليه أو سلطة توجيهه؛ لأن الامتيازات الأجنبية وقفت حائلا دون ذلك، فقد أتاحت هذه الامتيازات للأجانب أيا كانت جنسياتهم أو مذاهبهم أو أوجه نشاطهم فرصة إيقاف قانون أو بعبارة أدق مشروع قانون تحاول به الدولة أن تضعهم تحت سلطانها، وترتب على ذلك أن قامت في الوطن العربي جزر ثقافية أو على الأصح مستعمرات ثقافية تنتسب إلى قوميات ودول متعددة لا صلة لها بالعروبة، منها ما هو فرنسي وما هو إنجليزي وما هو أيرلندي وما هو أمريكي وما هو دانمركي وما هو إيطالي وما هو روسي وما هو سويسري وما هو يوناني وما هو أرميني..

ولقد ساند الاستعمار الأوروبي السافر البلاد العربية حركة البعثات التبشيرية والإرساليات العلمانية في كثير من البلاد العربية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين. فتكاثر عدد المدارس الأجنبية في كثير من جهاتها وإن تفاوت من بلد إلى آخر. بل غدا وجود المدارس من أبرز سمات التعليم في بعض البلاد، كما كان الحال في لبنان وسورية. (ماثيوز وعقراري، 1949)

هذا الانتشار للمدارس الأجنبية في البلاد العربية قد ترتبت عليه نتائج خطيرة من حيث الاتجاهات الثقافية ونظم التعليم، ذلك أن هذه المدارس الأجنبية اجتذبت أكثر طلابها من أبناء الأمة العربية، ونشأتهم من أجل غايات خارجة عن إطار العروبة، وغرست فيهم قيما ومفاهيم واتجاهات غير صادرة عن الثقافة الأصيلة.

ولم ينحصر تأثير هذه المدارس الأجنبية - خصوصا في الشام- على الطلاب العرب الذين التحقوا بها ودرسوا فيها، بل امتد إلى المدارس الخاصة الوطنية؛ إذ أن المدارس الأجنبية زودت كثيرا من هذا المدارس بالمعلمين ورجال الدين والكتب المدرسية، ووصل

التأثير إلى درجة توجيه مناهج الدروس وأساليب التدريس المتسمة فيها.

وهكذا كانت المدارس الأجنبية من الأدوات الفعالة التي استخدمت الدول في عملية الغزو الثقافي في البلاد وبسط نفوذها في بعض الأوساط.

ومع هذا، فإن قيام المدارس الأجنبية وانتشارها في كثير من البلاد العربية لم يمثل إلا جزءًا من المشكلة الثقافية المتعلقة بالتعريب. ولعل أخطر جانب في المشكلة هو ذلك الذي تولد عن الاحتلال العسكري والسيطرة السياسية لبعض دول أوروبا في أجزاء الوطن العربي، وذلك بناء على مخطط استعماري، حيكت أول خيوط أواخر القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر، وأسفر في النهاية بعد الحرب العالمية الأولى في مطلع هذا القرن عن سلب معظم الشعوب العربية حرياتها واستغلالها وشل فعاليتها وتبديد وحدتها.

من هذا العرض السريع يتضح لنا أن المشكلة الثقافية المتعلقة بالتعريب نشأت في البلاد العربية حيث نزل الاستعمار بنظرياته وتطبيقاته خصوصا في مجال التعليم. وقد تفاوتت هذه المشكلة حدة واتساعًا من بلد عربي إلى بلد آخر تبعًا لعوامل، منها طول مدة الاستعمار والظروف التي وجدت في كل قطر، والأساليب التي لجأ إليها المستعمر والمواقف التي اتخذه الشعب العربي في كل بلد.

وفي كل الأحوال ينبغي ألا يغيب عن بالنا كمن وراء هذه المشكلة من أوضاع اقتصادية واجتماعية في البلاد العربية. فسيطرة رأس المال الأجنبي في أكثر البلاد العربية. وتحكم الأجانب في كثير من اقتصاديات البلاد العربية، ودأب الدول الاستعمارية على ربط اقتصاد البلاد التي تحل فيها باقتصادها، كل هذا كان من أهم ما سائد المشكلة وعزز بقاءها واستمرارها. كذلك فإن الطبقة الصارخة التي تمثلت في وجود قلة أرستقراطية مشرفة في جانب وسواد شعبي في جانب آخر في معظم البلاد العربية كانت عاملاً حيويًا في قيام المشكلة واستمرارها. ذلك أن القلة الأرستقراطية لم يكفها أن تتميز عن سواد الشعب بجاهها وتراثها وسلطانها وحسبها ونسبها، وإنما أصرت على أن تكون متميزة عنه فوق ذلك بلغتها وثقافتها ومن هنا كانت الانحرافات الثقافية عن العروبة.

جهود الشعوب العربية لمواجهة المشكلة:

غير أن ما قدمناه من عرض للمشكلة وأصولها لا يمثل إلا جانبا من الصورة- وهو الجانب المظلم منها. أما الجانب الآخر المشرق فهو تلك الجهود الدائبة التي بذلتها الشعوب العربية، كل في قطره لمواجهة هذه المشكلة وإيقافها عند حد مع ما وراءها من محاولات استعمارية وطبقية.

ويكفي أن تقدم هنا مثلين، أحدهما ما حدث في مصر، والآخر ما حدث في سوريه.

لقد عارض الشعب العربي في مصر السياسة الإنجليزية الاستعمارية في التعليم كجزء من مقاومته للاحتلال ككل، وعبر عن معارضته في أقواله ومطالبه وكتاباته في الصحف والمجلات، كما عبر عنها إيجابيًا ببذل الجهود الفردية والجماعية في إنشاء المدارس الحرة (الخاصة) لتسد العجز في السياسة التعليمية من ناحية ولتتيح الفرصة لأبناء الشعب للتعليم في أوساط وطنية حقيقية.

وبدت معارضة الشعب حربًا لا هوادة فيها حسب الإنجليزي إن بوسعهم أن يعملوا في مصر ما عملوه في الهند، فيجعلوا الإنجليزية لغة التعليم بدلاً من العربية في المدارس الثانوية والابتدائية. واستعان الشعب بكل الوسائل في هذه الحرب من مقاطعة للمدارس. واستعان للمدارس الحرة الوطنية، والصيحة بأن اللغة العربية لغة الدين ومحاربتها معناها حرب الدين، ثم كان الجانب الإيجابي من هذه الحرب في تنفيذ الحجج التي لجأ إليها الإنجليزي لتبرير محاولتهم، ومنها أن العلوم الحديثة مثل الطبيعة والكيمياء والرياضيات والجغرافيا والتاريخ تعوزها الكتب المدرسية العربية لنجاح تدريسها في المدارس، وأن هذه العلوم لها مصطلحاتها التي يصعب تعريبها، فتطوع بعض المثقفين من أبناء الشعب بترجمة بعض الكتب، وقامت لجان المصطلحات وأثبتت قدرة اللغة العربية على أن تكون لغة كل علم. كذلك كان للاتجاه الذي اتخذه كثير من الآباء والمدرسين العرب ضد اللغة الدخيلة في السر والعلانية- وهو اتجاه لاشك لقنوه لأبنائهم- أثر في افساد تلك المؤامرة.

قضية تعريب العلوم والطب:

قضية تعريب التدريس في كليات العلوم وكليات الطب والكليات الطبيعية خاصة هي قضية عظمى لخير أمة أخرجت للناس، بل وهي قضية الأمة الكبرى، ولن يكون لخير أمة أخرجت للناس تقدم وللعرب خاصة، وللبشرية جمعاء في تقدم علمي أفضل وازدهار الفكر ما لم تدرس العلوم الطبيعية والطب باللغة العربية، لغة خير أمة أنزل عليها الكتاب الخاتم.

وذلك حق وصدق كما يحدث في بقية دول العالم المتقدمة، فليس هناك تقدم لأي أمة إلا عن طريق لغتها، لأن اللغة القومية أو الوطنية هي التي تختزل المعارف والعلوم والمعلومات، كي تنقلها إلى الأجيال إلى جانب أن نقل تلك العلوم للغة العربية يجعلها في كثير من

الأحيان سهلة الفهم والاستيعاب، من قبل الطلاب المسلمين والعرب، هذا وفي الصدارة تجب الإشارة إلى أن العلم إذا تخلل العقل والعلم والفكر العربي سيكون أكثر تأثرًا وتأثيرًا واستجابة ومعرفة وتشبهًا بهذا العلم من اللغات الأجنبية.

كيفية الإفادة من المصطلحات المعربة:

بالتفاني في الكتابة والحديث ووسائل النشر، يمكن الإفادة من كل تلك الوسائل في إحياء اللغة العربية والمصطلحات أيضًا يمكن تجديد الفكر الإسلامي، وتجديد الخطاب الديني أيضًا.

الترجمة والتعريب:

أوجب النهج في حالتي الترجمة والتعريب ما يلي:

أن يكون المصطلح يحدد الدلالة تحديدًا علميا دقيقا وذلك بضرورة وضع تعريف علمي له مصاغًا بأسلوب معجمي.

نص النهج على إفراد المصطلح الواحد بلفظ واحد ما أمكن ليسهل الاشتقاق منه، والنسبة والإضافة إليه وتثنيته وجمعه فلا يقال مقياس درجة الحرارة، بل يقال: ترمومتر.

أوصى النهج بتوحيد المصطلحات المشتركة بين المواد المختلفة إلا إذا اختلفت دلالتها.

أجاز النهج التركيب والنحت عند الضرورة.

أجاز النهج كذلك استخدام السوابق واللواحق والتوسع فيها لمواجهة السيل الجارف من الألفاظ العلمية الحديثة، ولكنه أحاطها أيضًا بضوابط تتفق وطبيعة اللغة العربية وأحكامها، منها قصر إلحاق السابقة العربية على لفظ عربي، مثل: (لاسلكي)، وقصر إلحاق السابقة المعربة على لفظ معرب، مثل (بيوفيزيقا)؛ وهذا يعني عدم المزج بين شقين لمصطلح واحد منحوت من لفظين مختلفي الأصل.

الحلول المقترحة:

1- التنسيق المستمر بين جميع المؤسسات العلمية والمجامع اللغوية بتبادل ما تم تعريبه ودراستها وإبداء الرأي في كل مصطلح.

2- عقد المؤتمرات الدورية المتقاربة للمجامع اللغوية، لتوحيد المصطلح الذي يضعه المجمعيون قبل أن يطبع في معجم موحد للعلم الواحد.

3- جمع التعريبات العلمية من مصادرها العلمية المعاصرة وحذف الاختلاف البين، وتقريب وجهات النظر بين هذه التعريبات، والتأكيد على دراسة ما وضع في المشرق العربي، والمغرب العربي، لاختلاف القواعد الفكرية العلمية بتنوع الجذور الأجنبية التي أخذت منها هذه المصطلحات.

4- وجود هيئة علمية للتنسيق قادرة على العمل المنظم والحركة السريعة وتملك الفكرة المالية والمعنوية في التنسيق والطبع والنشر.

5- الاتصال الدائم والمباشر بين مراكز البحوث ودور الكتب والمراجع العالمية.

6- إيجاد مراكز توثيق ذات مستوى عال تتعاون فيما بينها.

7- إلزام المؤسسات والهيئات العلمية والأفراد بالتعريبات والمصطلحات الموحدة.

8- الاتفاق على طرق الوضع اللغوية للتعريبات والمصطلحات حتى يكون عمل اللجان المختصة موحدًا.

9- الاتصال المباشر بين مجامع اللغة العربية وإدارات الترجمة في هيئة الأمم المتحدة واليونسكو والبيئات الدولية المباشرة.

10- تحديد معنى التعريب والمصطلح بوضع تعاريف مطولة واختيار الدقة في لغة العلم المعاصرة، وإيضاح الدلالة العلمية التي جاء منها المصطلح، لأن الايضاح ضرورة لفهم المصطلح في أول وضعه والاتفاق عليه.

11- القرار السياسي بالتعريب .. يحقق الأمن القومي:

لغتي هي عالمي، وحدود لغتي هي حدود عالمي، وهي الذات والهوية فما من حضارة إنسانية إلا وصاحبتها نهضة لغوية، وما من صراع بشري إلا ويبطن في جوفه صراعاً لغوياً حتى فيها أنه يمكن صياغة تاريخ البشرية على أساس من صراعاتها اللغوية.

ومن الجدير بالذكر أن حضارة اليوم تشهد حركة نشطة لـ "لغوته" الكثير من جوانبها، وجاءت تكنولوجيا المعلومات لتضع اللغة على قمة الهرم المعرفي. وهكذا أصبحت اللغة رابطة العقد للخريطة المعرفية والركيزة الأساسية لفلسفة العلم، ولكن عندما يضيع اللسان تضيع الأمة.

وأن تهديد الثقافات القومية والوطنية من أبرز نتائج العولمة ولئن كان الغزو الثقافي موجودا من قبل فإن ظاهرة العولمة زادت من سطوته وجعلته أحادي القطب إلى حد كبير، حتى لقد باتت ثقافات عالمية قوية- كالثقافات الأوروبية- تخشى على نفسها منه، فما بالنا بالثقافات الأخرى المستهدفة- كالثقافة العربية وفي هذا المقام نذكر ما قاله الرئيس الجزائري الراحل" "هواري بومدين" في أعقاب نكسة 5 يونيو "حزيران" 1967، ردً على سؤال أحد الصحافيين له حول: عدم امتلاك العرب لصناعة الحربية في مواجهة القوى المعادية..

إجابة: "لا توجد صناعة حربية لعدم وجود صناعة بوجه عام، كما لا تقوم صناعة بمعزل عن التقدم العلمي وتوطين العلم الذي يأتي طريق التعريب.. وتذكر أيضًا ما ذكرته مجلة تايم الأمريكية- يوليو 1967- بعنوان "سقوط ثقافة وحضارة" حيث صور الكاتب انتصار الحضارة الغربية- الممثلة في اليهود – بأنه انتصار العلم على الحضارة الإسلامية الممثلة في العرب.

ومن جانب آخر لاشك أن أخطر ما يهدد هويتنا وجود الثنائية في لغة التعليم والتي تتسبب في تخلخل البناء الاجتماعي، حيث ينشأ جيلان من أبناء الوطن الواحد، لكل منهما أفكاره ومعتقداته طبقًا للغة التي تعلم بها، وفي نفس الوقت فالتقدم العلمي لا يتم بمعزل عن البيئة العلمية بحيث تصبح المعرفة العلمية جزءًا من نسيجه، وهذا يقتضي أن يكون بلغة الأمة، فالتعلم بغيرها يجذب أبناء فئة خاصة لن تستطيع وحدها صنع التقدم مستقبلاً؛ لأنه مرهون بتضافر جهود الجمع على اعتبار أن التقدم العلمي أصبح عملاً مؤسسيًا اجتماعياً وليس فرديًا كما كان في الماضي، فهو في المنظومة المعاصرة "نحن" وليس "أنا".

وفيما يتعلق بقضية التعريب فلم تعد قضية قوية فقط، وإنما أصبحت شرطًا أساسيًا لتنمية أدوات التفكير والقدرات الذهنية والملكات الإبداعية واستيعاب المعرفة المتجددة ومن ثم ففي ظل غياب التعريب ستظل أفكارًا متأثرة بالفكر الغربي. حيث أن من يتعلم باللغات الأجنبية يختزن في عقله وذاكرته ما تعلمه وطبقًا لما هو معروف ثقافة الأمة هي ما يكتب بلغتها ومن جانب آخر فاللغة باعتبارها وعاء فكر- ولكونها منتجا ثقافيا- لا يستطيع وعاء ثقافي لمرحلة حضارية سابقة إن يتسع لإنجازات مرحلة حضارية لاحقة، إلا إذا تم تطوير هذا الوعاء.. ولا جدال في أن اللغة العربية ستظل حية وباقية فالله عز وجل خير حافظًا، ولكن بدون التعريب سوف تتخلى مرغمة عن مكانتها كلغة عالمية رسمية رائدة لتصبح لغة ثانوية وتابعة، فالتعريب له دوافعه القوية فهو يحافظ على الهوية المميزة للأمة، ويحقق المعاصرة الحضارية الفعالة المتمثلة في الإسهام العلمي تحصيلاً ونشرًا وإضافة وإنتاجًا.

وما من شك في أن التعريب بهذا المعنى يحقق الكثير من الفوائد منها: عقلنة المنطق العربي وتعميم الثقافة وتحقيق السيادة للغة العربية.

وهذا يعد في النهاية بمثابة حائط صد قوي يمنع أى غزو أو هيمنة ويحقق للعرب أمنهم القومي عندما يتحولون من مستهلكي حضارة إلى منتجي حضارة، وعندما توحدهم اللغة العربية يعيدوا أمجادهم القديمة.

واليوم ونحن نعيش مرحلة تغيير شامل في كل مناحي الحياة بتجدد الأمل في إحياء ما فات، الأمر الذي يتطلب أن نجتاز ما عشناه من أزمات وألا نقع فريسة لما فشلنا فيه من قبل وحتى لا تصبح محاولاتنا مجرد وقوف أمام حائط المبكي الحضاري إذا جاز التعبير- نذرف الدموع ليس أمامنا سوى أن نتفاءل شريطة أن يقترن بالرغبة الجادة في العمل.

وبالفعل... هناك محاولات جادة وإعمال مظللة من جانب العلماء واللغويين لتحقيق التعريب، وليس أدل على ذلك من وجود تسعة مجامع لغوية عربية تعمل تحت مظلة اتحاد المجامع العربية، وما يزيد عن مائة جامعة عربية تسهم بدرجات متفاوتة في تعريب العلوم إلى جانب عشرات مؤسسات التعريب ومعاهد الترجمة في العديد من الدول العربية، لكل منها أعمال وانجازات تخدم مسيرة التعريب بشكل أو بآخر، ولكنها تعمل وفق منظمة الجزر المنعزلة.

ولاشك أن العرب أمامهم الآن فرصة ذهبية حيث الإدراك التام بأهمية التكتل والذي يحتاج إلى قرار سياسي موحد، بعدما قال اللغويين والتربويون كلمتهم- وهذا القرار ليس بالأمر المستحيل، فاللغة هي الحصن الوحيد بعد أن انهارت كل المدن.. علينا أن نبدأ من الآن حتى لا تصبح على المستوى العالمي المعاصر- خارج نطاق الخدمة.

المصادر والمراجع:

- التهانوي، محمد بن علي (1996)، كشاف اصطلاحات الفنون، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، وضع حواشيه أحمد حسن، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 944.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (1987)، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) دار العلم للملايين، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. (عرب).
- حسان، طارق (2000)، تعريب جديد لأسماء العناصر الكيميائية، مجلة القافلة، أرامكو السعودية، عدد 49 ديسمبر.
- حسن، عباس، (1966)، اللغة والنحو بين القديم والحديث، دار المعارف، مصر، 220.
- حسن، عبد الحميد، الألفاظ اللغوية، خصائصها وأنواعها، القاهرة د. ت، 65.
- الخولي، شحادة (1983)، الخطة القومية للترجمة، المنظمة العربية للترجمة والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، في الخطة الشاملة للثقافة العربية.

- سرور، محمد جمال الدين سرور، (1965)، تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق، دار الفكر العربي، القاهرة.
- السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (1989)، الاقتراح في أصول النحو وجدله، ص146.
- السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (1998)، المزهر، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 268/1.
- الضامن، حاتم صالح، (2007) فقه اللغة، دار الآفاق، القاهرة.
- الطيب، أحمد (1437) صحيفة دار العلوم للغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية، صحيفة تصدرها جماعة دار العلوم بالقاهرة، العدد(53) جمادي الأول،
- عصام الدين، أحمد عصام الدين، (1986) حركة الترجمة في مصر في القرن العشرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (1971)، شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل، تحقيق: حمد الكبيسي، مطبعة الإرشاد، بغداد، 23.
- قنواتي، الأب جورج شحاتة قنواتي، (2014) المسيحية والحضارة العربية، «مكتبة الأسرة»، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ماثيوز، رودوك، عقراري، متي (1949)، التربية في الشرق الأوسط العربي.
- المبارك، محمد (1981)، خصائص العربية ومنهجها الأصيل في التجديد والتوليد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 42.
- المغربي، عبد القادر بن مصطفى (1908)، الاشتقاق والتعريب، مطابع الهلال، القاهرة. ص 5.
- مهران، محمد مهران (١٩٧٨)، سلسلة كتابك "علم المنطق"، دار المعارف. القاهرة.
- علي، سيد إسماعيل، (1987)، الفكر التربوي العربي الحديث، سلسلة عالم المعرفة 113، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

(i) دعا رئيس جامعة القاهرة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب ليتحدث إلى العالم الإسلامي كله، وإلى البشرية جمعاء، من فوق منبر جامعة القاهرة العريقة عن مشكلاته الثقافية والحضارية والاقتصادية وغير ذلك، تلك المشكلات التي تواجه شباب المسلمين والشباب في كل مكان، فلبى سماحته الدعوة في محاضرة جاءت نموذجًا من الحق المبين، والبلاغة العالية، والمنطق المقنع، والفصاحة المتفردة، واضحة المعاني، شاملة التناول، حضرها الأساتذة والطلاب ممن اتسعت لهم القاعة الكبرى بها ومعها أعلا مكانة الأزهر، ورد له هيبته المحفوظة الموقرة.

(ii) ينظر:
- التعريب في التراث اللغوي: عبد العال سالم مكرم.
- التعريف وتنسيقه في الوطن العربي: محمد المنجي الصيادي.
- التعريب والقومية العربية في المغرب العربي: نازلي معوض.
- حركة التعريب في العراق: أحمد مطلوب.
- دعوة إلى تعريب العلوم في الجامعات: أحمد مطلوب.
- اللغة العربية في التعليم العالي: مازن مبارك.
- اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث: عبد الكريم خليفة.